الرجل والمرأة

اختلافهما فى التكون الجسمى وفى الاستعداد والمواهب العقلية والخلقية

لحضرة الأستاذ حامد عبد القادر
وكيل كلية أصول الدين

(١)

إن الرجل لا يختلف عن المرأة من حيث كونه فرداً له مزاجه وطباعه وسجاياه الخاصة فحسب ولكنه يختلف عنها أيضا من حيث كونه رجلا، كما أنها تختلف عنه من حيث كونها امرأة، بل إن هناك فروقاً جسمية هامة مشاهدة بين الرجل والمرأة، وهذه الفروق الجثمانية تعد موازنة لفروق عقلية ليست بأقل منها أهمية، والمعقول أن يكون لهذه الفروق الجسمية والعقلية آثار فى السلوك.

وإن التاريخ الإنسانى ليبرهن لنا على صحة هذه النتيجة، إذ أن وظائف المرأة فى الحياة لم تكن فى يوم من الأيام مساوية لوظائف الرجل وإن قانون الرقى المستمر الذى يعمل عمله فى الحياة الإنسانية يدل على أن الرقى لا يمكن أن يكون إلا بتوزيع الأعمال، وتخصص كل من الجنسين لأعمال خاصة، والتخصص فى الأعمال والوظائف يتبعه على مر الزمن زيادة ظاهرة فى التكون الجسمى، فليس لنا أن نأمل التقارب والتشابه الشديد بين الجنسين إلا إذا كنا نأمل أن نقترب من الحياة الساذجة الأولى التى لم يكن فيها إلا قليل من توزيع الأعمال وتخصص بعض الأفراد لبعض الوظائف. وإنك لو بحثت لوجدت أن اختلاف

الجنسين ليس من الظهور بين الأمم المتوحشة التي هي بمعزل عن الحضارة كما هو بين الأمم المتمدينة .

هذا ولا تزال الحوادث التاريخية تبرهن لنا في عصرنا الحاضر على أن مساواة المرأة للرجل في الأعمال والوظائف تؤدي إلى انقلاب اجتماعي ، وقد يؤدي هذا الانقلاب إلى ثورة عنيفة ضد النظم والقوانين الاجتماعية ثورة لا يعلم إلا الله تعالى مداها وعواقبها . وليس هنا موضع الكلام على هذه الثورة ، ولا البحث فيما يكنه لنا المستقبل من الانقلابات الاجتماعية الخطيرة ، ولكنا نريد أن نقول إن المشاهدات والتجارب قد برهنت على أن المرأة ليست كالرجل في الاستعداد الجسمي ، ولا في المواهب العقلية ولا في النزعات الخلقية .

(٢)

أما الفروق الجسمية التي بين الرجل والمرأة فواضحة جلية ؛ إذ مما لا شك فيه أن المرأة لا تختلف عن الرجل في صفاتها الخاصة بالأنوثة فحسب ، ولكنها تختلف عنه أيضاً من حيث التكوين الجسمي والوظائف الجثمانية في الجملة ، فهيكلها العظمي ليس كهيكله العظمي تماماً ، يدلك على ذلك أن الخبير بفن التشريح وعلم وظائف الأعضاء يستطيع أن يميز بقايا المرأة العظمية من بقايا الرجل مستنداً في ذلك إلى الفروق الدقيقة التي بين هذه وتلك . ومن المعلوم أن هناك فروقاً ظاهرة بين جمجمة الرجل وجمجمة المرأة . ومن الثابت بالتجارب أن مخ الرجل مختلف في شكله ووزنه وحجمه عن مخ المرأة . وكل منا يلاحظ أن البنت تسلك في نموها الجسمي طريقاً خاصاً ليس كطريق الغلام ، وأن لكل طرقاً خاصة في الحركات والسكنات والمشي والجلوس والوقوف والصوت ونبراته ، ولهجة التخاطب إلى غير ذلك مما هو معروف مشاهد .

وليست بنا حاجة إلى الإسهاب فى بيان الفروق الجسمية الجنسية ، ولكن يهمنا كثيراً جدا أن نوجه نظرك إلى ثلاث حقائق من الواجب العناية بها بنوع خاص ؛ لأنها ترشدنا عند وضع النظم والمناهج الخاصة بتربية البنت ، تلك الحقائق هى :

أولا : أن البنت أضعف جسما وأقل قوة من الغلام ، فليس لديها من النشاط العصبى المتوفر إلا جزء يسير لا يكفى لأن يعوض عليها ما عسى أن تبذله من نشاط فى الأعمال العقلية الزائدة على طاقتها العصبية . ومعنى ذلك أننا إذا كلفنا البنت القيام بتلك الأعمال العقلية الشاقة المجهدة للمخ والأعصاب التى نكلف الغلام القيام بها فإنها لا تستطيع النهوض بأعبائها إلا إذا نهكت قواها الجسمية والعقلية وضحت بجزء كبير من صحتها العامة

ثانياً : أن الأعضاء التناسلية فى المرأة تقوم بأعمال أشق مما تقوم به الأعضاء التناسلية فى الرجل . ومن الثابت لدى العلماء بوظائف الأعضاء أن هناك علاقة متينة بين الجهاز التناسلى وبين الجهاز العصبى عامة والمخ خاصة بحيث إن إجهاد أحدهما يؤدى لا محالة إلى إجهاد الآخر ، فإذا طالبنا المرأة بأعمال عقلية مجهدة لقواها المخية العصبية مساوية لأعمال الرجل نشأ عن ذلك اضطراب فى وظائفها التناسلية أعظم من الاضطراب الذى يحدث للرجل ؛ أى أن مقدرتها التناسلية تصير أقل من مقدرة الرجل فى تلك الناحية .

ثالثاً : أن الاضطراب الذى يحدث فى نظام الجهاز التناسلى ويقلل من قدرته على تأدية وظيفته يؤدى بالضرورة إلى ضعف فى النسل . وإذا كان ذلك الاضطراب عاما فانه يؤدى دون شك إلى تدهور النوع الانسانى . وإذا أثقلنا كاهل المرأة وارهقناها وحملناها ما لاطاقة لها به من الأعمال العقليه ازداد اضطراب جهازها التناسلى وازداد تبعاً لذلك تدهور النسل وضعف النوع الإنسانى .

(٣)

هذا من حيث الاختلاف فى الاستعداد الجسمى ، أما الاختلاف فى المواهب العقلية والنزعات الخلقية فليس بأقل ظهوراً ولا أقل خطرا

فالمرأة تنظر إلى العالم متأثرة بوجدانها أكثر من الرجل ، ومزاجها أقرب ما يكون إلى المزاج الانفعالى ولذا يشتد تأثرها بجمال الأشياء وتناسبها مع بيئتها ، وتقل عنايتها بالأفكار المجردة . وإذا حاولت التعميم والوصول إلى قواعد كلية عامة فانها لا تعنى بالتحليل والتحقيق والتدقيق والبحث العميق ، وهذا هو السبب فى أنها تميل إلى التسرع فى الحكم والخطأ فى التطبيق ، وكراهة التحليل المنطقى العميق البعيد المدى الذى يصل به الرجل إلى القوانين العلمية الصحيحة يعد من أهم ما تمتاز به المرأة عن الرجل . والمرأة عملية أكثر منها فلسفية ، أما الرجل فيميل إلى النظريات ، ويجنح إلى التفلسف والتدبر والتفكير فى العواقب ، فاذا رأى خطراً محدقاً به فكر فى وسائل تجنبه وهو هادىء الفكر وربما اعتراه ألم وضجر ، وقد يثور أو يغضب او يسب ويلعن إذا لم يصل إلى نتيجة مرضية . وأما المرأة فانها تبكى وتصيح وتولول فى وجه الخطر ، وقد يعتريها اضطراب عصبى يحول بينها وبين التفكير والتروى

ثم إن الرجل ينظر إلى أسرار الأشياء وبواطنها ، ويعتد بقيمها الذاتية الحقيقية وحقائقها الواقعية ولا يغتر بظواهرها ، أما المرأة فتغرها الظواهر ، وتعجب بحسن المنظر وإن ساء المخبر ، فالجواهر الزائفة الحسنة الشكل المنسجمة الصوغ تقع لديها موقعاً حسناً وإن كانت قليلة القيمة فى ذاتها . والرجل مستعد بطبيعته وقواه الجسمية إلى الزعامة والقيادة ، لقدرته على التصرف عند المواقف الحرجة ، وعلى الابتكار للخروج من المآزق بسرعة ومهارة ، أما المرأة فإنها لا تبلغ منزلة الرجل

فى ذلك ، وان كانت تفوقه فى الصبر والجلد ، والقدرة على المقاومة ، والسرعة فى التنفيذ ؛ ولذا يقال إن الرجل أكثر استعداداً للتشريع والابتداع ، أما المرأة فأكثر استعداداً للتنفيذ ، ومن ثم كانت الأغلبية الغالبة من القادة والمشرعين والمبتدعين من الرجال ، ولم يعرف عن امرأة أنها برزت فى عالم العلم أو ابتكرت آلة نافعة ، والمرأة بصبرها وقوة وجدانها وحنوها وشفقتها مستعدة استعداداً طبيعياً لأن تكون أماً وطبيبة وممرضة وسلوة للرجل إذا حلت به النكبات ، أو استولت عليه الهموم ، أو تحكمت فيه الأمراض .

(٤)

وهذه الفروق وتلك الاختلافات لا تظهر واضحة جلية إلا بعد النمو والكبر ، أما فى عهد الطفولة الأولى فإن هذه الفروق تكون صغيرة غامضة : فالذكر والأنثى لا يكادان يختلفان عند الولادة ، وبعد ذلك تأخذ فروق ما فى الظهور ؛ فأنت إذا رأيت بنتا صغيرة سنها أربع لا تشك فى أنها بنت صغيرة حقا ، وإذا رأيت طفلا فى هذه السن علمت أنه طفل صغير بلا ريب .

والبنت فى العادة تسبق الطفل فى القدرة على الكلام ، وقلما تصاب باضطراب فى أعضاء التكلم ، ومعنى ذلك أن المراكز العصبية والخيوط العصبية الوصلية المرتبطة بالتكلم تنمو فى الصبية قبل نموها فى الصبى .

ويلاحظ أن لعبها يختلف فى النوع والأسلوب عن لعب الطفل سواء ألعبت وحدها أم مع غيرها ، فلعبها ينقصه النشاط فى الحركة وسعة النطاق التى تلاحظ فى لعب الطفل . وهى تصل إلى مرتبة اللعب التقليدى قبل الطفل ، وتبقى فى هذه المرحلة أكثر مما يبقى . ومن المشاهد أنها تولع حتى فى عهد الطفولة الأولى باللعب بالدمى ومعاملتها معاملة الأطفال

فتلبسها ملابسها ، وتحملها إلى مراقدها ، وتحاول إطعامها كما أنها تحنو على الحيوانات الداجنة وتطعمها كلما سنحت لها الفرصة ، أى أنها تحاكى أمها فى أداء وظيفتها كأن طبيعتها تملى عليها أنها ستصير يوما ما من الأمهات .

والبنت تفوق الطفل فى إظهار شعورها بحدة ، فهى تضحك وتبكى بصوت مرتفع ، وتظهر تأثرها بيئتها بسرعة وشدة ، ولكنها تميل إلى والانزواء والمقاومة السلبية إذا أغضبها أحد ، فى حين أن الطفل يحتد ويقاوم مقاومة إيجابية عند الغضب .

والبنات لسن كالبنين عند حصول نزاع فيما بينهن ، فهن يشكون ويبكين ويسبين فى حين أن البنين عند النزاع يتقاتلون ويتضاربون ويهاجم بعضهم بعضا مهاجمة فعلية كأن طبيعتهم تملى عليهم أنهم سيصيرون رجالا مسئولين عن الدفاع عن أنفسهم وذويهم .

والنزاع لايحسم بين البنات حسما ، ولكن آثاره تبقى مدة طويلة وقد يسعى بعضهن فى الكيد والدس لبعض ولكن البنين كثيرا مايتصالحون ويتصافون بعد انتهاء التشاجر

وفى الغالب يتلون التنافس بين البنات بألوان سيئة وأخلاق مكروهة كالحقد والكراهة وحمل الضغينة ولاسيما ضد من كانت منهن موضع التفات وعناية من بعض الأقارب او الاصدقاء .

هذه هى خلاصة الفروق الجنسية الجسمية والعقلية والخلقية العامة وموعدنا فى العدد الآتى إن شاء الله أن نبين بعض فروق تفصيلية خاصة بالحياة المدرسية ، ونتكلم عن نتيجة هذا البحث من الوجهة التعليمية .

« له بقية »